مقدمة :

الحمد لله الذي تفرد بالجلال والعظمة والعز والكبرياء والجمال وأشكره شكر عبد معتــرف بالتقصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تســليمًا كثيــرًا وعلى آله وأصحابه.

وبعد فلما كانت معجزات النبي ﷺ أنوارًا تشرق على القلوب الطافحة بالإيمان وتزيدها قــوة وثباتًا واستقامة أحببت أن أذكر ما تيسر منها والله المسؤول أن يجعل عملنا خالصًــا لوجهــه الكريم.

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أنَّ الله قد جمع لنبينا ﷺ جميع أنــواع المعجزات والخوارق. من العلم والأخبار الغيبية والرؤية.

وهنالك معجزات كثيرة حسية حدثت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وببركة يده صــلى الله عليه وسلم ، فجزى الله عَنا وعن الأمة المحدثين وأهل السير وغيرهم ممن كتب في هــذا المجال خير جزاء.

وقد صنفوا وأجادوا في المعجزات الحسية التى تتصل بالإنسان والحيوان والنبــات والجمــاد وهي محاور هذا البحث .

طامعا وداعياً الله عز وجل أن أدخل ضمن من خدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنحظى ببركة هذه اليد المباركة في الدنيا والآخرة.

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

إن مما يستدعي له المقام معرفة الحكمة في أفعال الله تعالى ، وبهذه المعرفة تتميز أفعاله عن أفعال غيره ، ولما كان البحث في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في الإيمان ، كان واجب علينا أن نكشف النقاب عن هذه المواقع .

فلقد عرف أن أي إنسان من البشر إذا كان في تصرفاته وأفعاله موافقاً لما أصطلح عليه أهل الفطر المستقيمة والعقول السليمة فيضع كل شيء في موضعه المناسب ، فإنه يعد عاقلاً حكيما عند العقلاء وبالعكس إذا كان في أفعاله مخالفا لذلك فإنه يحكم عليه بفقدان العقل ونقص الإدراك .

فإذا كان هذا هو شأن البشر في تصرفاتهم وأفعالهم ، فإن سيد الخلق أعلى قدراً وأجل ، فلا تصدر أفعاله إلاً على وجه الحكمة والعدالة .

إن النبوة هي أصل المعجزة ، والولاية هي أصل الكرامة ، فلا تحصل المعجزة التي هي أصل الكرامة في الجنس ، إلا مع النبوة الصادقة ــ كما أن الكرامة لا تحصل للولي إلا باتباع شرع نبيه .

ولقد اخترت هذا الموضوع لأمور أهمها :

حاجة المجتمع الماسة لهذا الموضوع بيان أنه من المعجزات والكرامات ما يفوق التقدم العلمي بمراحل عديدة

ثانياً : أهداف البحث :

١/ التحقق من المعجزات الحسية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأكيد صحتها.

٢/ ترسيخ عقيدة الإيمان بها ، والاتعاظ والاعتبار بها .

٣/ ذكر الموانع التى تمنع الناس من الإيمان بالمعجزات والبعد عنها .

ثالثا : حدود البحث :

ستقتصر الدراسة إن شاء الله تعالى على المعجزات الحسية للرسول صلى الله عليه وسلم دون المعنوية.

منهج البحث :

المنهج الوصفي التحليلي

هيكل الدراسة :

الفصل الأول: مفهوم المعجزة وأهميتها

المبحث الأول : المعجزة في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني : شروط وأنواع وأهمية المعجزة .

المبحث الثالث :ــ الفرق بين المعجزة والكرامة

الفصل الثاني : ــ معجزات حسية تتعلق بالإنسان والحيوان

المبحث الأول :ــ معجزات حسية تتعلق بالإنسان

المبحث الثاني :ــ معجزات حسية تتعلق بالحيوان

الفصل الثالث :ــ معجزات حسية تتعلق بالنبات والجماد

المبحث الأول :ــ معجزات حسية تتعلق بالنبات

المبحث الثاني :ــ معجزات حسية تتعلق بالجماد

الخاتمة وتشمل :

النتائج والتوصيات .

الفصل الأول

مفهوم المعجزة وأهميتها وأنواعها والفرق بين المعجزة والكرامة

المبحث الأول : تعريف المعجزة وأهميتها

المبحث الثاني : المعجزة وأقسامها

المبحث الثالث : الفرق بين المعجزة والكرامة

الفصل الأول

مفهوم المعجزة وأهميتها وأنواعها والفرق بين المعجزة والكرامة

المبحث الأول : تعريف المعجزة وأهميتها :

تعريف المعجزة في اللغة :

جاء في لسان العرب ، عجز . العجز نقيض الحزم عن الأمر ، يعجز وعجز عجزا والمعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعله من العجز وعدم القدرة .

والتعجيز : التثبيط

وجاء أيضا في لسان العرب " المعجزة واحد معجزات الأنبياء عليهم السلام وإعجاز الأمور أواخـــرها ، وعَجز الشيء وعَجِزَه وعَجُزَه وعَجَّزَه وعَجُزُه آخره ، بذكر ويؤنث [١].

المعجزة في الاصطلاح :

المعجزة أمر خارق للعادة ، داع إلى الخير والسعادة ، مقرون بدعوى النبوة ، قصد به إظهار صدق من أدعى أنه رسول من الله [٢].

وقد تعددت المعجزات لرسل الله على نبينا وعليهم ــ أفضل

الصلاة وأزكى التسليم ــ حيث أتت قصصهم تحوي كثيرا من المعجزات التي أيدهم الله بها ، وبين سبحانه أنه أيدَّ رسله بالمعجزات ، فقال تعالى : ((لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ

---

[١] ابن منظور " محمد بن مكرم بن على بن أحمد ألأنصاري الأفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفصل ، ولد سنة ٦٣٠هـــ ومات ٧٧١هـــ ،لسان العرب ، لبنان : دار بيروت للطباعة والنشر ، ج٥ ، ١٣٨٨هـــ ، ص ٣٧٠

[٢] ابن كثير،إسماعيل بن عمر بن القرشي ، تفسير القرآن العظيم ، ط١ ، ١٣٨٥هـــ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ٣١٥/٤ .

بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾))[1] .

يقول الحافظ بن كثير رحمه الله : (أي المعجزة والحجج الباهرات والدلائل القاطعات) [2]

للإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ كلام نفيس في تفسير قوله تعالى : ((إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾))[3] ، حيث يقول : (فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه ، لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الإخبار عن بعض الغائبات ، وفي التنزيل : ((وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾))[4] وقال ابن جبير : ((إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾))[5] هو جبريل ــ عليه السلام ، وفيه بُعد ، والأولى أن يكون المعنى ، أي : لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى ، أي اصطفي للنبوة ، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته .

وقال ــ رحمه الله ــ ستأثر به دون خلقه ، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب سواه ، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل ، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحى اليهم ، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم).

---

[1] سورة الحديد الآية ٢٥ .

[2] أبو الوليد محمد بن أبى القاسم أحمد بن شيخ الماكلية أبى الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ، مطبعة الشعب بالقاهرة ، المكتب المصري الحديث ٢٨/١٩ .

[3] سورة الجن الآية ٢٦ ــ ٢٧ .

[4] سورة آل عمران الآية ٤٩

[5] سورة الجن الآية ٢٦ ــ ٢٧

المعجزة في اصطلاح المتكلمين :

للمتكلمين في معجزات الأنبياء عليهم السلام آراء وتعريفات مختلفة وسأعرض هذه الآراء والتعريفات مع مناقشها وبيان الصواب منها

أولاً : المعجزة عند الفلاسفة :

يقول ابن رشد[1] " أما الكلام في المعجزات فليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول لآن هذه عندهم من الأشياء التى لا يجب أن تتعرض للفحص عنها وتجعل مسائل ، فانها مبادئ الشرائع ، والفاحص ، والمشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم .

أما الفلاسفة الغلاة كالفارابي[2]،ممن يفضل الفيلسوف على النبى صلى الله عليه وسلم فانه يجعلها أمورا متخيلة فهول يقول " وكثير من هذه التي يعطيها العقل الفعال فتتخيلها القوة المتخلية بما تحاكيها من المحسوسات المرئية ، فإن تلك المتخيلة تعود فترسم في القوة الحاسة ، فيصير ما أعطاه العقل الفعال من تلك مرئيا لهذا الإنسان .

ويقول ابن سينا[3] في كتابه الإشارات : " ولعلك قد بلغك عن العارفين أخبار تكاد تأتي بقلب العادة ، فتبادر إلى التكذيب ، وذلك مثل ما يقال " إن عارفا استسقى للناس فسقوا ، أو دعا عليهم فخسف بهم وزلزلوا ، فلاتستبعدن أن يكون لبعض النفوس ملكة يتعدى تأثيرها بدنها ،

---

١ ابن رشد هو محمد بن احمد بن محمد بن رشد،ابو الوليد فقيه مالكي،فيلسوف،طبيب،من أهل الاندلس،من اهل قرطبة،يلقب بالحفيد ولد عام ٥٢٠هـ وتوفي في مراكش عام ٥٩٥هـ-من كتبه تهافت التهافت و الكليات في الطب-وبداية المجتهد و نهاية المقتصد-شذرات الذهب في اخبار من ذهب -ج٤/٣٢٠ط١/المكتب التجاري،بيروت.

٢ الفارابي هو محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان الفارابي ويلقب بالمعلم الثاني (ابو النصر).حكيم،رياضي،طبيب،عارف باللغات التركية و الفارسية و اليونانية و اليونانية و السريانية،ولد في فاراب ٢٦٠هـ-توفي بدمشق ٣٣٩هـ من آثاره احصاء العلوم-وآراء أهل المدينة الفاضلة.معجم المؤلفين،ط١ بيروت،مؤسسة الرسالة١٤١٤هـ ١٩٩٣م ج٣/ص٦٢٩،ومرآة الجنان و عبرة اليقظان لليافعي ٣٢٨/٢.

٣ ابن سينا هو الحسين بن عبد الله بن سينا،ابو علي،شرف الملك.الفيلسوف الرئيس،الشهير بابن سينا.ولد ٣٧٠هـ وتوفي ٤٢٨هـ من آثاره كتاب الإشارات-هدية العارفيناسماء المؤلفين و آثار المصنفين اسماعيل باشا البغدادي ط استانبول ١٩٥١م ج١/٣٠٨.

وتكون لقوتها ، كأنها نفس ما للعالم فلا تستنكرن أن يكون لبعض النفوس هذه القوة حتى تفعل في أجرام أخر [٤](٣).

وقد تعرض ابن تيمية لرأي ابن سينا فقال : وابن سينا عظمها ــ يريد النبوة ــ فجعل للنبي ثلاث خصائص :

الأولى : أن ينال العلم بلا تعلم .

الثانية : أن يتخيل في نفسه ما يعلمه .

الثالثة : أن يكون له قوة يتصرف بها في العالم باحداث أمور غريبة ، وهي عندهم آيات الأنبياء (يريد المعجزات).

وكلام ابن تيمية هذا يوافق ما نص عليه ابن سنا ، لكن لا يخفى علينا تعبير ابن سينا السابق بقوله " تكاد تأتي بقلب العادة " فان كلمة تكاد تشير إلى أنه لم يحصل ذلك حقيقة ، ولهذا أخذ الإمام الغزالي في بيان ذلك ومناقشته فقال في كتابه تهافت الفلاسفة " أما الملقبة بالطبيعيات فهي علوم كثيرة نذكر أقسامها ؛ ليعرف أن الشرع لايقتضي المنازعة فيها ، ولا إنكارها إلا في مواضع نذكرها[٥].

ثم قال : ليس يلزم مخالفتهم شرعا في شيء من هذه العلوم ، وإنما نخالفهم من جملة هذه العلوم في أربع مسائل :

الأولى : حكمهم بأن الإقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة فليس في المقدور ، ولا في الإمكان إيجاد السبب دون المسبب ، ولا وجود المسبب دون السبب .

ويتابع كلامه فيقول : وإنما النزاع في الأولى ، من حيث أنه ينبني عليها إثبات المعجزات الخارقة للعادة ، مِن قلب العصا ثعباناً ، وإحياء الموتى ، وشق القمر ، ومن جعل مجاري العادات لازمة لزوما ضروريا آحال جميع ذلك،وأولوا في القرآن .

ثم يستطرد قائلاً : ولم يثبت الفلاسفة من المعجزات الخارقة للعادات إلا ثلاثه أمور :

---

[٤] ابن تيمية،النبوات،المطبعة السلفية القاهرة ، ص ١٧٩ .

[٥] الغزالى ، تهافت الفلاسفة ، ط٥ ، مطبعة دار المعارف بمصر ، ص ٢٣٤ .

الأولى : القوة المتخيلة

الثانية : خاصية في القوى النظرية العقلية .

الثالثة : في القوى النفسية ، فقد تنتهي إلى حد تتأثر بها الطبيعيات وتتسخر ، فلا يبعد أن تبلغ قوة النفس على حد تخدمها القوة الطبيعية ، فتتطلع نفسه إلى هبوب ريح أو نزول مطر ... من غير حضور سبب طبيعي ظاهر ، ويكون ذلك معجزة للنبي عليه السلام .

ولكنه إنما حصل ذلك في هواء مستعد للقبول ، ولا ينتهي إلى أن ينقلب الخشن حيوانا ، وينفلق الذي لايقبل الإختراق ، فهذا مذهبهم في المعجزات ونحن لا ننكر شيئا مما ذكروه ، وإنَّ ذلك مما يكون للأنبياء ، صلوات الله عليهم وسلامه ــ وانما ننكر اقتصارهم عليه ومنعهم قلب العصا حية وإحياء الموتى وغيره [1].

والذي يظهر للباحث من كلام الفلاسفة الذين تعرضوا للحديث عن المعجزات ، وبما سبق من كلام الغزالي : أن الفلاسفة أرادوا تفسير المعجزات من الناحية العقلية التي هي معتمدهم في أبحاثهم ، وأن العقل عندهم يوجب تلازم الأسباب والمسببات تلازما ضروريا ، والحق أن العقل لا يوجب هذا التلازم .

ولو سلمنا ــ جدلا ــ وما قاله الفلاسفة من ضرورة التلازم بين السبب والمسبب لكان من الضروري أن يوجد المسبب بمجرد وجود السبب ، لكن هذا على العكس فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب مما يدل على عد التلازم الضروري .

ولنأخذ مثالا على ذلك وهو حمل المرأة من الرجل . فان السبب الظاهر للحمل هو ملاقاة الرجل للمرأة في عملية الجماع ، والمسبب وهو الحمل وهو الذي استغربته السيدة العذراء مريم لعدم وجود سببه الظاهر في قي قوله تعالي : ((قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾))[2] .

ولهذا تقول المؤلفة المعاصرة سعدية بهادر : " فيما يتعلق بنمو الجنين في كتاب علم خفض النمو " : فالحياة تبدأ من لحظة الإخصاب ، وهي تحدث عندما يقابل حيوان منوي صحيح

---

[1] الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، ص ٢٣٥ .

[2] سورة مريم الآية ٢٠

بويضة صحيحة في الوقت الصحيح في دورة حياة البويضة . حيث تتهيأ الفرصة لأن يخصب الحيوان المنوى تلك البويضة .

وتقول أيضا : ولكننا قد نتساءل لماذا يحدث فشل في إنتاج ذرية في بعض الأحيان ؟ إن ذلك قد ينتج عند عدة ظروف غير مناسبة في الرجل والأُنثى ، ومن أهمها للأُنثى حامضية الإفرازات المهبلية التى تقتل الحيوانات المنوية أو الالتصاقات الرحمية ، أو إنسداد قناة فالوب نتيجة الالتهابات أو بعض المواد الغريبة أو إضطراب الهرمونات .

أما في الرجل فقد يكون نتيجة انسداد في المجاري المنوية مما يعوق وصول الحيوانات المنوية أو بسبب إضطرابات هرمونية [1].

المعجزة العقلية :

لقد أرسل الله تعالى نبينا محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى الناس كافة ، وختم به الرسالات السابقة قال تعالى : ((وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨))[٦].

وقال تعالى : ((مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠))[٧]

فهذا هو نبي الإسلام ، وهذه هي دعوة الإسلام الشاملة للزمان والمكان والأجيال ، ولما كان هذا هو الحال في الدعوى كان لا بد أن تكون معجزتها مناسبة لها في العموم والبقاء ، فهذه هي دعوة المعجزات التي تخاطب العقل والوجدان ، والتي يراها العقل حيث ما نظر ، وليست دعوة المعجزات التى تضطر العقل بالإقحام القاهر إلى التسليم ؛ لأن دعواتها وقتية فهي بالتالي معجزات وقتية .

---

[٢] سعديه محمد بهادر،علم نفس النمو ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٩هـ : دار البحوث العلمية بالكويت ، ص ١٠٣ .

[٦] سورة سبأ الآية ٢٨

[٧] سورة الأحزاب : ٤٠

أما معجزة الإسلام الأولى ، فقد جاءت مناسبة لدعوتها في كل المناسبات ، فهي المعجزة العقلية الأصلية والفريدة في نوعها ، وفي ذاتها بخلاف تلك المعجزات الحسية التي هي أمور ثانوية في رتبتها ومكانتها ، ولا شك أن مخاطبة العقل أدق وأروع وأجل وأعظم من مخاطبة الحس ، فالمعجزة القرآنية تخاطب العقل وتحترمه وتسمو به إلى التفكير والتعقل ، وتنافس معه القضايا بحجة واضحة ومنطق سليم ، وليست بتلك التي تقهر البصر وتوصم العقل .

فما أعظم القرآن وما أجل قدره ! وبما أن القرآن الكريم يطول الحديث عنه وليس بخلاف ما بذله العلماء ، أو قصصه وأمثاله إلى غير ما هنالك من علومه الزاخرة .

تعريف القرآن الكريم :

قال في لسان العرب : القرآن : التنزيل العزيز ، قال أبو اسحاق النحوي : يسمى كلام الله تعالة الذي أنزله على نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتابا وقرآنا وفرقانا .

ومعني القرآن : معني الجامع ، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها وروي عن الشافعي رضى الله عنه أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول : القرآن اسم ، وليس بمهموز ، ولم يؤخذا من " قرأت " ، لكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة الإنجيل [٨](١).ويقول الراغب : والقرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان قال : ((فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾))[٩]

القرآن في الاصطلاح :

وأما القرآن في الاصطلاح فقد عرفه العلماء : بأنه الكلام المعجز المنزل على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر بتلاوته[١٠] .

٨ابن منظور، لسان العرب ، (١:١٢٨ ــ ١٢٩)

[٩] سورة سورة القيامة ١٧ــ ١٨

[١٠] الزرقاني " محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان ــ " ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي ، ١٢/١.

يقول الزرقاني : وأنت ترى أن هذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والكتابة في المصاحف ، والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة وهي الخصائص التى إمتاز بها القرآن الكريم[١١].

أدلة ثبوت المعجزة القرآنية :

اعلم أنه يمكن إثبات أن القرآن الكريم معجزة خارقة بالكتاب والسنة والمشاهدة الحسية .

أدلة الكتاب : وهي على قسمين :

الدليل بالأسلوب :

إن المتتبع لأسلوب القرآن الكريم يجد في طواياه تلك الآيات التي تشف عن مطالبة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالمعجزات واقتراحها عليه ، بينما نجد الرد عليهم وهو يقرر أن القرآن الكريم فيه الغنية عن تلك المعجزات إذ هي المعجزة الكافية ، ولسنا بصدد تتبع تلك الأساليب ،وإنما نكتفي ببيان أنموذج لها ولمن شاء بعد ذلك أن يبني عليها الأشباه والنظائر فمن ذلك قوله تعالى : ((أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾))[١٢]

يقول الزمخشرى عند قوله تعالى : أولم يكفهم " آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان ، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل ، كما نزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان[١٣] (١).

---

١١ المرجع السابق ، ١٢/١

١٢ سورة العنكبوت ٥٠ ــ ٥١ .

١٣ الزمخشرى ، الكشاف،٢٠٩/٣ .

وعن الأسلوب في قوله : أولم يكفهم " يقول أبو السعود : والهمزة للإنكار والنفي ... أي القصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات : أنا أنزلنا عليك الكتب "

فقد بان هذه الآية أن القرآن الكريم منهل الآيات واوفي المعجزات وأعظمها وابقاها [1].

الدليل بآيات التحدي :

قال تعالى : ((قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾))[14]

وقال سبحانه : ((فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾))[15] وقال عز وجل : ((قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾)) [16]

وقال تعالى : ((أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾)) [17]وقال تعالى : ((أَمْ يَقُولُونَ

---

[1] الزركشى " بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن " الطبعة الثالثة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩١هـ ، ٩٤/٢ .

[14] سورة القصص : ٤٩

[15] سورة الطور ٣٣ ــ ٣٤

[16] سورة الإسراء : ٨٨

[17] سورة هود : ١٣

ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾)) [18]

وقا سبحانه وتعالى : ((فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾)) [19]

الدليل من السنة :

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله أمن أو آمن على البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة(١)) .

يقول ابن حجر : هذا ــ أي قوله : ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ــ دال على أن النبي لابد له من معجزة تقتضى إيمان من شاهدها بصدقة ، ولا يضره من أصر على المعاندة.

ويقول : وقوله " وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليَّ " أي أن معجزتي التى تحدث بها الوحي الذي أنزل عليَّ وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح .

ومعني الحصر في قوله " إنما كان الذي أوتيته " أنَّ القرأن أعظم المعجزات وأفيدها وأدومها لاشتماله على الدعوة والحجة ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر فلما كان لاشىء يقاربه فضلا عن أن يساوية كان ما عداه بالنسبة إليه كان لم يقع .

---

[18] سورة يونس : ٣٨

[19] سورة البقرة ٢٣ ــ ٢٤

(١) اخرجه البخاري،محمد بن اسماعيل،صحيح البخاري،)،كتاب فتح الباري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم(بعثت بجوامع الكلم /ج١٣/ص٢٦١/رقم٧٢٧٤ (١١٣/٩)

الدليل بالمشاهدة الحسية :

ونقصد بالمشاهدة الحسية تلك المشاهدة الفعلية ، وهي إنا نرى هذا القرآن الكريم المكتوب في المصاحف والمتداول في شتى الأقطار الفريد في نظمه وأسلوبه ومخاطبته للبشر مع ما يمجد به من قداسه واحترام ، وهذه الأوصاف لم يعهد لها مثيل لكتاب سواه ، ونكتفي بهذه الجولة مع الأدلة في تقرير وإثبات أن القرآن معجزة خارقة بل إنها أعظم المعجزات ثبوتا وإعجازاً .

ويرى الباحث :

وجود موانع خفية لم تكن معروفة لدى القدماء ــ لاسيما الفلاسفة ــ الذين بحثوا في النفس وعلومها بل عرفت بواسطة العلم التجريبي العلم الحديث ، فهذه الموانع الخفية قد منعت من وجود المسبب مع وجود السبب الظاهر ، فلا يبعد أن توجد أسباب خفية يحصل يها المسبب مع عدم المسبب الظاهر .

وبهذا نعلم أن الأسباب منها ظاهر ، ومنها خفي قدر لا يدركه العقل فكيف تحكم الفلاسفة بتلازم ما لم يحط به علمنا . وما لم تحط به علما .

يقول البوطي[٢٠] في كتابه كبرى اليقينات الكونية : وإذا علمت أن المعجزة إنما هي من خوارق العادات أدركت أن العقل لا يحيل إمكان وقوعها ذلك ؛ لأن استمرار الظواهر الطبيعية على نسقها المألوف الذي نراه ليس شيئا ضروريا يفرضه العقل فرضا ، وإنما نسجته العادة وتكون بفعل الجعلية ، ما يلحق هذه الخوارق من التعجب منها أو الاستنكار لها إنما هو بسبب غرابتها عن المشاهدة والمألوف.

ويقول أحمد زين[٢١] في كتابه أين الله " الإنسان يجعل عقله دائما الميزان لكل ما يحدث ، وهذا مطلوب في أمور الحياة اليومية ، فيما يعرض لنا من حوادث ويصادفنا من مشاكل ، وان نبحث في قوانين الكون ، وأن نكتشف بعقولنا ما أودعه الله في هذا الكون من أسرار ، ولكن هناك أشياء قد تكون فوق قدرة العقل أن يفهمها أو يفسرها.

---

٢٠ البوطى،محمد سعيد رمضان البوطى،سوري الجنسية–له من المؤلفات فقه السيرة و وضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية و كبرى اليقينات الكونية،الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة ، ص ٢٢٦،قتل في الاحداث الاخيرة التي اجتاحت سوريا الأن .

٢١ أحمد زين، اين الله ، مطابع الأهرام التجارية ، ص ١٨ .

يرى الباحث عدم الخوض في المعجزات من الوجهة الفلسفية التي مبناها على الإدراك العقلى البحت.

أما إخضاعها لمدركات العقل جلت قدرته سهل عليه قبولها من غير تكييف لحصولها ، وأما على كيفية حصولها فهذا من الوجهة الكيفية فهو ما لايتحمله العقل كما فسرها ابن سينا وغيره ، لكن إذا ثبت في العقل أن الفاعل للأسباب ابن سينا وغيره ، لكن إذا ثبت في العقل أن الفاعل للأسباب والمسببات هو الله جلت قدرته سهل عليه قبولها من غير تكييف لحصولها ، وأما عدم إدراك كيفية حصولها فهذا لا يقتضي تأويلها ، أو إنكارها في الحكم العقلي السليم ، وإذا كان العقل هو المعيار عند الفلاسفة الذي تقاس به الأشياء فما بالنا نجد اختلافهم في النظر العقلي لا سيما فيما وراء الطبيعة كالنفس ، وغيرها فليس أدل هذا على قصور العقل وأن له طاقة لا يتعداها .

أهمية المعجزة وأنواعها :

وفي أهمية المعجزة ومدلولها يقول الإمام الجويني " لا دليل على صدق النبي غير المعجزة ، فإن قيل : في المقدور نصب دليل على صدق النبي غير المعجزة ؟ قلنا : ذلك غير ممكن ؛ فإن ما يقدر دليلا على الصدق لا يخلو أما أن يكون معتاد ، وأما أن يكون خارقا للعادة فإن كان معتاد يتساوى فيه البَر والفاجر ، فيستحيل كونه دليلا ، وإن كان خارقا للعادة يجوز تقدير وجوده ابتداء من فعل الله تعالى ، فإذا لم يكن بد من تعلقه بالدعوى ــ فهو المعجزة بعينها .

على أنه ثمة فرق بين المعجزة والكرامة ، ويتمثل ذلك الفرق في أن الكرامة لا يدعي صاحبها النبوة ، وإنما تظهر على يده لصدقه في اتباع النبي ، وماكانت الكرامة لتقع لولا اعتصام من وقعت على أيديهم بالاتباع الحق للنبي .

لكن ليس من شرطه العصمة ، فإن الولي قد يقع في المعصية ، وهذا يبين لنا أن شرط الكرامة للولي يتمثل في صدق الاتباع للنبي ، الأنبياء فقد خصهم الله تعالى ، والولي يستحي من إظهار الكرامة ، واذا ظهرت نبه الناس إلى فاعلها الحقيقي هو الله تعالى [1].

---

[1] المعجزات الحسية في الهجرة النبوية ، د. يوسف القرضاوى ، من صفحة فتاوى وأحكام على الربط .

أنواع المعجزة :

المعجزة تتعدد وتتنوع ، وبصفة عامة تنقسم إلى قسمين :

المعجزة العقلية :

وهي ما يؤكد علماء الأصول أنها المعجزة التي إختص بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي معجزة القرآن الكريم .

القسم الثاني : المعجزات الحسية :

وهذا النوع من المعجزة يبقى محصوراً عند من يشاهدها أو عند من تناقل إليه الخبر متواتر يجزم بعدم امكان الشك فيه كمعجزة موسى ومعجزة عيسى عليهم السلام (العصا ، إحياء الموتى).

وقد جرت سنة الله تعالى كما قضت حكمته أن يجعل كل نبي مشاكلة لما يتقن قومه ويتفوقون فيه ، ولما كان العرب قوم بيان ولسان وبلاغه ، كانت معجزة النبي الكبرى هي القرآن الكريم وهي معجزة عقلية أدبية لا حسية مادية ، وذلك لتكون أليق بالبشرية وبطبيعة الرسالة الخالدة الخاتمة ، فالمعجزات الحسية تنتهي بمجرد وقوعها ، أما العقلية فتبقى بآيات كونية جمة ، وخوارق ومعجزات حسية عديدة ، ولكن لم يقصد بها أكرم نبيه واضافة إلى هذه المعجزة الكبرى بل تكريما من الله تعالى له ورحمة منه تعالى به ، وتأييداً له وعناية وتحدى ، أي اقامة الحجة بها على صدق نبوته ورسالته.

المبحث الثاني

شروط وأقسام وأنواع المعجزة

شروط المعجزة :

من شروط المعجزة أن تتوفر فيها الشروط الآتية :

(١) أن تكون بإذن الله وإنجازه ، فليس للنبي إلا الدعاء حتى بإذن الله فيها قال تعالى : ((وما كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾))[١]

(٢) أن تكون خارقة للعادة المألوفة في الكون من غير ارتباط بالأسباب المعروفة للبشر ، إذ لو كانت معروفة الأسباب لم تكن خارقة للعادة .

(٣) أن يتحدى بها النبي قومه أو التحدي الحكومي فليس التحديد الصريح شرطا فيها واذا فسر التحدى بما قاله ابن حجر كان المعنى واضحا [٢]. فالتحدي يفهم من واقع الحال والمقال عند دعوى النبى وظهور المعجزة .

(٤) أن لا يمكن معارضتها بمثلها وعلى الوجه الذي وقع التحدي به في أي زمان أو مكان ، وهذا حقيقة الإعجاز فيها وهو مطابقة اسمها لمسماها .

(٥) أن تكون متقدمة على دعوى النبوة بل مقارنة لها أو بعدها ، على أن تكون في حياة النبي ، فما كان خارجاً عن ذلك في دلائل النبوة وعلاماتها .

أقسام المعجزة :

قد جمع الله لنبيه صلى الله عليه وسلم جميع أنواع المعجزات والخوارق وهي :

أولاً : ما يكون من باب الإخبار بالأمور الغيبية .

مثل إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء المتقدمين وأممهم ومخاطباته لهم وأحواله معهم وغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم ، بما يوافق ما عند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر

---

[١] سورة الرعد ، الآية ٣٨ .

[٢] ابن حجر،على بن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ، ٥٨١/٦ .

أو بغيره من غير تعلم له منهم وكذلك إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء تارة بما في أيديهم من الكتب الطاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر ، وتارة يعلمه الخاصة من علمائهم فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من باب العلم الخارق وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلية مثل مملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم وقتال الترك وغيرها من الأخبار التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم .

ثانيا: ما يكون من باب القدرة والتأثير على صور متعددة .

- القدرة والتأثير في العالم العلوي " كانشقاق القمر ومعراجه إلى السموات .
- وأما الجو : فاستسقاؤه واستصحاؤه غير مرة ، كحديث الأعرابي الذي في الصحيحين وغيرهما ، كذلك كثرة الرمي بالنجوم عند ظهوره ، وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .
- وأما الأرض والماء : فكاهتزاز الجبل تحته وتكثير الماء في عين تبوك وعين الحديبية ونبع الماء من أصابعه غيره مرة .
- واما المركبات ، فتكثيره للطعام غير مرة في قصة الخندق من حديث جابر وحديث أبى طلحة وفي أسفاره وجراب أبى هريرة ونخل جابر بن عبدالله وحديث جابر بن الزبير في انقلاع النخل له وعودته إلى مكانه ، وسقياه لغير واحد من الأرض كعين أبى قتادة وكانشقاق القمر ورد الشمس ليوشع بن نون ، كذلك ردها لما فاتت عليا الصلاة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم في حجره ــ أن صح الحديث ــ فمن الناس من صححه كالطحاوي والقاضي عياض ، ومنهم من جعله موقوفا كأبي الفرج بن الجوزي ، وهذا أصح ، وكذلك معراجه إلى السماوات [١].

---

[١] ابن حجر العسقلاني ، فتح البارى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ٦/٥٨١ .

المبحث الثالث

الفرق بين المعجزة والكرامة

الكرامة في اللغة :

جاء في لسان العرب : كرم ، الكريم : من صفات الله وأسمائه وهو الكثير الخير الجاد المعطي لا ينفذ عطاؤه ، وهو الكريم المطلق .

الكريم : اسم جامع لكل ما يُحمع ، فالله عز وجل كريم حميد الفعال .

قال الأخفش : وقرأ بعضهم (*وَمَنْ يُهِنِ اللّهُ فَمَا لَهُ* مِنْ مُكْرِمٍ) ، بفتح الراء أي إكرام.

الكرامة : اسم موضع للإكرام [١].ويرى الباحث : أن الكرامة بهذا المعني اللغوي من الأسماء الجامعة فهي تطلق على كل إنعام حسى أو معنوي وهي ضد الإهانة وخير الإكرام ما كان من الله عز وجل .

الكرامة في اصطلاح المتكلمين :

والكرامة في الاصطلاح : أعني اصطلاح المتكلمين ــ الأمر الخارق للعادة يجريه الله على يد عبد صالح له متبع للشرع فإذا كان غير متبع للشرع فهو استدراج وإهانة [٢].

ثبوت الكرامة بالمعنى الاصطلاحي :

لقد درج العلماء من السلف والخلف على ذكر الكرامة الخارقة للعادة وذكر وقائعها المتكاثرة ، بما لا يدع مجالا للشك في وقوعها لا سيما أهل الكلام فقد أدرجوها في أنواع خوارق العادات وقرروها في كتبهم إى ما كان من المعتزلة وابن حزم فقد أنكروها وسنورد مذهبهم فيما بعد أن شاء الله تعالى .

أدلة ثبوتها :

لقد ثبتت الكرامة الخارقة للعادة بالكتاب والسنة والعقل .

---

[١] ابن منظور، لسان العرب ، ٥١٠/١٢ .

[٢] محمد عبدالظاهر ، الأولياء والكرامات ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الإمام بمصر ، ص ٣ .

أولاً : ثبوتها بالكتاب الكريم :

لقد ثبتت الكرامة بما ورد في القرآن الكريم من قصة مريم الصديقة ، حيث وجد الرزق عندها بلا سبب ظاهر ، فكانت تتنعم بفاكهة الصيف في الشتاء وبفاكهة الشتاء في الصيف قال تعالى : ((فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾))[1]

وكذلك حضور العرش لصاحب سليمان عليه السلام قبل ارتداد الطرف مع بعد المسافة بين أرض اليمن وبلاد الشام . قال تعالى : ((قال ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾))[2]

ثبوتها بالسنة :

أثبتت السنة وقوع الكرامة على وجه نقض العادة فمنها :

- تكليم الطفل ببراءة جريح الراهب من الفاحشة . فقد شهد الطفل على رؤوس الأشهاد بنزاهته مما أتهمه به القـــــوم . فكان كرامة ظاهرة له وقد وردت هذه القصة بطرق صحيحة [1].
- إنفراج الصخرة عن الثلاثة بعد أن وقعت عليهم وسدت عليهم المنافذ فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم وخرجوا سالمين[2] .

---

[1] سورة آل عمران الآية ٣٧ .

[2] سورة النمل الآية ٤٠

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة ، لبنان : بيروت ١٩٧٦/٤.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري " مطبعة الشعب ، ١٣٧٨هـ ، ٢٠٩/٤

- منقبة أُسيد بن حُضير وعباد بن بشر حين خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فكان بين أيديهما نور يمشى في ضوئه حتى بلغ منزله [٣].

- قصة الصحابي الجليل عاصم بن ثابت عندما قتله المشركون وبعثوا من يأتيهم بشيء من جسده لتعرفه قريش ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء [٤].

ثالثا : ثبوتها بالعقل :

وأما بالفعل فاذا كان الله لا يكرم أولياءه وأحبابه فمن يكرم

يقول الرازي : " أن تشريف الله تعالى عبده بمعرفة ومحبته أعظم وأعلى من إعطائه رغيفا في المفازة أو سقية شربة من الماء فإذا لم يبعد الأول يبعد الثاني[٥] .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

ليس بين المعجزة والكرامة بالأمر اليسير ، إذ أن كلا منهما تدل على مدلولها ، فالمعجزة " تدل على صدق النبي في نبوته ورسالته " ، والنبوة ذات شأن عظيم ، فهي عملية جراحية في أعماق القلوب تستهدف تغييرا في الإتجاه والسلوك البشرى .

وأما الكرامة " فهي تدل على صدق متابعة الولي لشرع نبيه دلالة أولية ، كما تدل على صدق النبوة دلالة ثانوية " لذا فقد أنكر بعض الطوائف من المتكلمين (المعتزلة) ظهور الكرامة للأولياء لئلا يؤدي وجودها إلى اشتباهها بالمعجزة فيؤدي بالتالى إلى فساد المعجزة .

ولعل السبب الذي حدا بمن أنكر الكرامة هو عدم وجود الفوارق الحاسمة بين المعجزة والكرامة لا سيما وأنه قد نقل من المعجزات ما ظهر مثله كرامة للأولياء .

يقول ابن تيمية : " وقد يكون إحياء الموتى على يد أتباع الأنبياء كما قد وقع لطائفة من هذه الأمة ومن أتباع عيسى[١] .

---

[٣] ابن حجر العسقلاني ، فتح البارى، ١٢٥/٧ .

[٤] محمد عبدالظاهر ، الأولياء والكرامات ، ص ٥ .

[٥] المرجع السابق ، ص ٥ .

[١] ابن تيمية ، النبوات ، ص ٢١٣ .

ولاشك أن فيما قاله ابن تيمية تصريحا بظهور مثل معجزة النبي كرامة للولي ، وهنا يظهر سر اختلاف العلماء وتشعب آرائهم في الفرق بين المعجزة والكرامة يجب أن نعرف أن الفرق ليس معجزة لذاتها وبعينها وكرامة لذاتها وبعينها ، ولكن الفرق يكون بين معجزات متنوعة وكرامات متنوعة ، وليس على الله تعالى حجر في أفعاله فله سبحانه وتعالى أن يجري ما يشاء من المعجزات والكرامات وفقا لعدله وحكمته .

يقول ابن تيمية في ذلك : " ولهذا تنوعت آيات الأنبياء بل النبي الواحد تتنوع آياته،فليس القرآن الذي هو قول الله وكلامه من جنس انشقاق القمر و لا هذا وهذا من جنس تكثير الطعام والشراب كنبع الماء من بين الأصابع ، وهذا كما أن آيات الرب الدالة على قدرته ومشيئته وحكمته وأمره ونهيه لا تختص بنوع فكذلك آيات أنبيائه ، فهذا ينبغي أن يعرف[٢] .

وبعد معرفة هذا فلنذكر ما قاله العلماء حول الفرق بين المعجزة والكرامة وذلك بعد تبيان مكانة الكرامة من المعجزة .

منزلة الكرامة من المعجزة :

لاشك أن لفظ المعجزة يختلف في مدلوله عند المتكلمين عما كان عليه عند السلف .

فالمعجزة عند المتكلين تطلق على الآيات الخاصة بالأنبياء والتي حدوا لها حدودا وشرطوا لها شروطاً.

أما السلف فلم يكن يقتضي هذا اللفظ إختصاص الأنبياء دون الأولياء ، يقول ابن تيمية : " ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمى معجزاً إلا ما كان للأنبياء ، وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة والسلف (كأحمد وغيره) كانوا يسمون هذا وهذا (أي المعجزة والكرامة) معجزا ويقولون لخوارق الأنبياء أنها معجزات إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك[١] .

ويقول : " وقد ذكر واحد من العلماء أن كرامات العلماء الأولياء معجزات لنبيهم من آيات نبوته ، وهذا الصواب كقصة أبي مسلم الخولاني وغيره مما جرى لهذه الأمة من الآيات ، ومثل ما كان يظهر على أيدي الحواريين وعلى يد موسى وأتباعه [٢].

---

[٢] المرجع السابق ذكره، ص ٢٣٢ .

[١] ابن تيمية ، الجواب الصحيح ، ص ١٢ .

[٢] ابن تيمية ، النبوات ، ص ١٣٠ .

ويقول أيضا : " وعلى هذا فكرامات الأولياء هي من آيات الأنبياء فإنها مختصة بمن شهد لهم بالرسالة ، وكل ما استلزم صدق الشهادة بنبوتهم فهو دليل على صدق هذه الشهادة سواء كان الشاهد بنبوتهم المخير بها هم ، أو غيرهم ، بل غيرهم إذا أخبر بنبوتهم وأظهر الله يديه ما يدل على صدق هذا الخبر كان هذا أبلغ في الدلالة على صدقهم من أن يظهر على أيديهم "[٣].

هذا الذى قاله ابن تيمية يبين لنا مكانة الكرامة من المعجزة وإنها من جنسها عند من يطلق لفظ المعجزة على خوارق الأنبياء والأولياء كما هو مذهب السلف ، وهذا هو الصواب بالنظر إلى آيات النبوة عموما ، فان الكرامة تعتبر 'يى من آيات النبوة الدلالة على صدق التابع من متابعته لشرع نبيه كما تدل على صدق النبى المتبوع في نبوته ، فهي بالتالي من معجزات النبي بمفهوم السلف ، لأنها إنما ظهرت على الولى الصالح لمتابعة لشرع نبيه وإيمانه برسالات الرسل . واذا كانت هذه هي منزلة الكرامة من المعجزة عند السلف فانها بلا شك تختلف عما إصطلح عليه المتكلمون لا ختلاف مدلول المعجزة ، فالكرامة عند المتكلمين تخالف المعجزة بالمفهوم الاصطلاحي ، وقد أعتبرها بعض المتكلمين تخالف المعجزة بالمفهوم الاصطلاحي ، وقد إعتبرها بعض المتكلمين كالرازي قسما مستقلاً عن المعجزة . مما جعلهم يبحثون في الفرق بين المعجزة والكرامة "[١].

الفرق بين المعجزة والكرامة عند المتكلمين :

قال الجرجاني : " والجاب أنها تتميز (أي المعجزة) بالتحدي مع إدعاء النبوة في المعجزة أي عدم التحدي مع ذلك الادعاء في الكرامة [٢].

ويقول الشعراني : (فإن قلت) ما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ظاهر وذلك أنه اذا توقفت الإجابة على المعجزة يجب على النبي أن يتحدى بها ويظهرها ، بخلاف الكرامة لا يجب على الولي إظهارها ، لأنه إنما يدعو بحكم اتباعه بشرع نبيه الثابت عنده ، فلا يحتاج إلى دليل على صحة طريقة دعواه بخلاف النبي .. وقد فرق الأئمة بين المعجزة والكرامة بفروق كثيرة غير ما ذكرناه ، فقال بعضهم " من الفرق بينهما المعجزة تقع

"[٣] المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

"[١] عبدالله محمد بن عمر الرازى الملقب بفخر الدين الرازي ، ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي في هراة ٦٠٦هـ الأربعين في أصول الدين الزازى.

[٢] العلامة القاضى أبو الحسن على بن بن عبدالعزيز الجرجاني الفقيه الشافعي ، الأديب الشاعر المحسن قاضى قضاة الرى والمولود في حجود سنة ٣٢٥هـ المتوفي ٣٩٢هـ ،المواقف بشرح الجرجاني.

عن قصد وتحد ، وأما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولي " وقال بعضهم : يجوز أن تقع الكرامة أيضا بقصد الولي ، وانما الفرق الصحيح بينهما أن المعجزة تقع مع التحدي ، والكرامة لا يتحدى بها الولي ، وقال بعضهم يجوز للولي أيضا أن يتحدى بالكرامة على ولايته إذا رأى في ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم إلى الحق ، انما الفرق الصحيح بينهما هو أن المعجزة لا تكون إلا بعد عدوى له ولا تكون مع السكوت معجزة ، والكرامة يجوز أن تقع مع كلامه ومع وسكونه معا .

ويقول أيضا : وحقيقة ذلك " أن الولي إذا ادعى بفعل خارق للعادة أنه ولي فإن ذلك لا يقدح في معجزة النبي بخلاف ما إذا ادعى بمثل ذلك الفعل الآن على أنه نبي فانه يكذب في دعواه ، والكاذب لا يكوون ولياً لله تعالى فلا يصح أن يظهر على يديه ما يظهر على أيدي الأنبياء والأولياء .

قال الشيخ أبو طاهر : وهو فرق ظاهر وهو معني قول المشايخ " المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا تظهر على أيدي الأولياء عند دعواهم النبوة ، لأنها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذباً وهو محال [٢٢].

هكذا استطرد الشعراني في ذكر هذه الفروق التي منها المقبول ومنها المردود مما يدل على عدم تحريره لهذه الفروق .

ولذلك رد ابن تيمية على ما ذكر هذه الفروق المتأرجحة فقال : ومن الناس من فرَّق بيْن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء بفروق ضعيفة ، مثل قولهم : الكرامة يخفيها صاحبها أو الكرامة لا يتحدى بها . ومن الكرامات ما أظهر أصحابها كإظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء ، وإظهار عمر مخاطبة سارية على المنبر ، وإظهار أبي مسلم لما القي النار أنها صارت عليه برداً وسلاماً ... ومنها ما يتحدى بها صاحبها دين الإسلام حق ، كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السم ، وكالغلام الذي أتي الراهب وترك الساحر وأمر بقتل نفسه بسهمه باسم ربه ، وكان قبل ذلك خرقت له العادة فلم يتمكنوا من قتله ، مثل هذا كثير[٢٣] .

فأنت ترى بهذا التحدي وإخفاء الكرامة أو عدم إخفائها ترى فروقاً ضعيفة لا تؤدي الغرض المطلوب في الفرق بين المعجزة والكرامة .وأما ما ذكره الشعراني من أن الولي الصالح لا

---

[٢٢] عبدالوهاب الشعراني، اليواقيت والجواهر.

[٢٣] ابن تيمية ، النبوات ، ص ٥ .

يدعي النبوة ولو إدعاها لم يكن وليا فهذا صحيح . فقد قال ابن تيمية " فالتابع للأنبياء الصالح لا يكذب في دعوى النبوة قط [٢٤].

يقول الرازي في الفرق بين المعجزة والكرامة :

أن الكرامات والمعجزات ــ وإن كان اشتركا في كون كل واحد منهما ــ أمراً خارقاً للعادة ولكن تمتاز المعجزة عن الكرامة من وجوه .

أحدها : أن الدعوى شرط في النبوة وليست شرطا في الكرامة .

وثانيهما : أن الحاصل في النبوة إدعاء النبوة ، وفي الكرامة إما أن لا تحصل الدعوى أو ان حصلت لكنها لا تكون دعوى النبوة بل دعوى الولاية .

وثالثهما : أن المعجزة لا تكون لها معارضة والكرامة قد تكون لها معارضة [٢٥].

والذي يبدو أن دعوى النبوة والتحدى هو عمدة القول في الفرق بين المعجزة والكرامة عند المتكلمين ولذا قال ابن تيمية منكرا عليهم : " ثم هؤلاء حوزوا كرامات الصالحين ، ولم يذكروا بين جنسها وجنس كرامات الأنبياء فرقا ، بل صرح أئمتهم أن كل ما خرق لنبي يجوز أن يخرق للأولياء ، حتي معراج محمد فلق البحر لموسى ، وناقة صالح و غير ذلك .

ثم قال في موطن آخر : " فليس كل من آيات الأنبياء يكون كرامة للصالحين وهؤلاء يسوون بين هذا وهذا (أي المعجزة والكرامة) ويقولون الفرق هو دعوى النبوة و التحدي بالمثل ، وهذا غلط فإن آيات الأنبياء التي دلت على نبوتهم هي أعلى مما يشتركون فيه هم واتباعهم مثل الإتيان بالقرآن ومثل الإخبار بأحوال الأنبياء المتقدمين وأُممهم والإخبار بما يكون في يوم القيامة وأشراط الساعة ، ومثل إخراج الناقة من الأرض ، ومثل قلب العصا حية وشق البحر و مثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله[٣] .

هكذا يرى ابن تيمية أن آيات الأنبياء التي بها ثبتت نبوتهم أعلى ما يقع للأولياء ، كما هو حال الأنبياء في الفضيلة والثواب والقرب والزلفى من الله ذي الجلال والإكرام والأولياء يقصرون عنهم في الدرجة والثواب فهكذا الحال في الآيات .

---

[٢٤] المرجع السابق ، ص ١١٢ .

[٢٥] الرازي ، الأربعين في أصول الدين ، ص ٣٨٧ .

[٣] الرازي ، الأربعين في أصول الدين ، ص ١٢٤ ــ ١٢٥